

القائد (٨)

«اعتمد الصراحة والمصارحة منهجاً، والحزم نمطاً. فكشف الحقائق وركز أسساً للتعامل والتصرف. في لقاءه مع الضباط قال: «مش عازمك ع لقمه طيبه، داعيكن ع درب صعبه، عازمك ع عذاب وقهر ونضال. يعرف انه في منكم ما رح يكفوا معي، البعض لسبب موقعن الجغرافي والبعض لأنهم مش مقتنعين باللي عم بطرحه، بس اللي بيبقوا كافيين ت نخوض هالمواجهه سوا ونخلص وطننا وشعبنا».

في حفلة ثقافية عسكرية، والمناسبة كانت توقيماً على كتاب «تاريخ الجيش اللبناني» الذي أعده آنذاك العقيد سامي ريحانا، قال الجنرال ميشال عون: «انتهى عهد اللي تربوا ع بواب السفارات وع إيدن القناصل واللي بينوا موافقهم وبيأخذوا قراراتهم من وشوشات برأ. في عقلية جديده بدها تحكم لبنان وتدير شعبه وتطلع من هالورطه اللي صرلنا خمسين سنه عم ندفع ثمن اغلاطها وسيئاتها»... وللتمييز بين الحالة التي كان يتخبط بها لبنان والواقع الجديد الذي بدأ يتكون معه قال في احد المؤتمرات الصحفية: «موتوا لبنان وحطوه بالتابوت ومشيو بجنازته. وفجأة فر لبنان من التابوت وقلن بعدني طيب. هالشي زعجهم كتير لأن كلهم كان بدهم يتخلصوا منه. هيدا الواقع وهيدا اللي بدنا نفهمه للجميع وهو انه لبنان وطن بيستحق الحياة. لبنان ما انوجد بالصدفه، لبنان وطن عمره سبعة آلاف سنه وله فضل كبير ع الحضاره البشريه والتقدم الانساني».

كان السفير الاميركي جون مكارثي يلح على الجنرال، ان يعين مستشارين ويقول له فلان يصلح مستشاراً، وفلان بارع في هذا الحقل ومفيد وجوده قربك. وكان الجنرال يجيبه: «لدي اكثر من مستشار، ولكن يجب ان يكونوا مستورين وغير معروفين في هذه الظروف. ويمكن حضرتك سعادة السفير ان تكون أحد المستشارين في مسألة ما. ولا لزوم لتسمية فلان مستشاراً كي يحمل الصفة». بعد احد اللقاءات مع مكارثي رأيت الجنرال عابساً، سألته ما الأمر؟ اجابني: «كل همّه ينصحك تحط مستشارين. والأغرب من هيك انه بيعينك ياهن. وهودي كل واحد من مربوط ع معلف سفاره. وهيك اللي ما بيقدروا ياخدوه منك مباشرة بياخدوه من المستشارين اللي بيحطوهم حدك».

وصل الجنرال والوفد المرافق له الى تونس لحضور المؤتمر العربي وقد استقبل استقبالاً حاراً وبحفاوة ملفتة. فور وصوله طلب رئيس اللجنة، وزير خارجية الكويت الشيخ صباح الاحمد الصباح، الاجتماع الى الجنرال عون. كان لقاء تعارفاً، حاول كل واحد استكشاف آراء الثاني وطروحاته. كان رئيس اللجنة ينادي الجنرال بألقاب مختلفة كسيادة العماد، وحضرة العماد وجنرال... لكن لسانه زل مرة وناداه فخامة الرئيس. اشتلق الجنرال بأن الشيخ ملبك فقال له: «سمني ما شئت، سمني طنوس. ولكن لنكن صادقين في ما نقول وصريحين مع بعضنا».

بدا اعجاب الشيخ الصباح واضحاً بالعماد ميشال عون وقد هيمن هذا الاعجاب على أفكاره وتصرفاته خلال المؤتمر وما بعده، وكان يردد على مسمع الجميع: «والله ظلمنا هذا الرجل. انه عربي اصيل وليس صحيحاً ان اسرائيل تدعمه».

دخل العماد عون الجلسة بلباس مدني؛ فيكون بذلك لأول مرة قد خلع البدلة العسكرية في محادثات رسمية. عرض الجنرال دراسة مفصلة عن الازمة اللبنانية. وقرن عرضه بخريطة ملونة تديلاً على توزيع الجيوش الغربية وعناصر الميليشيات على الارض اللبنانية. وقدم وثائق تؤكد علاقة كل ميليشيا بجهة خارجية وتبين مصادر دعمها وتمويلها. بعد ذلك انتقل الى مشروعه للبنان وسبل تنفيذه. وكان مبسطاً. ارتكز على الجيش والشعب لانهما الوحيدان غير المدعومين من احد ولا مرتبطين بجهة. ركز في مشروعه على السيادة والاستقلال ووحدة لبنان رافضاً التداول بمشاريع تفصيلية معلاً ذلك بقوله: «لا يمكن الكلام عن مشاريع تفصيلية كالاصلاح مثلاً الذي أؤيده وأطالب به، في ظل هذا الواقع المهيمن على لبنان اي جيوش محتلة وميليشيات مدعومة ودولة مشلولة وقوى شرعية محاصرة ومعطلة»... كما أصر على برمجة انسحاب الجيوش الغربية عن ارض لبنان وضبط الميليشيات وقطع الامدادات عنها، وتسليم الأمن الى الجيش اللبناني. وأوضح منبهاً ومؤكداً الى أن لبنان لا يحكم من دمشق، كما انه لا يحكم من بيروت ضد دمشق».